

بعض أنواع الشرك الأصغر.

د/ عواد بن عبدالله المعتق *

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
نظراً لخطورة الشرك على عقيدة المسلم، ولخفائه عموماً والأصغر منه خصوصاً، حيث قد يقع فيه البعض وهم لا يشعرون، وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: (أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل .. الحديث)^(١). نظراً لما ذكرت فقد أحبيت أن أكتب لمحة موجزة عن

الشرك الأصغر تتلخص فيما يلي:

تمهيد: في التعريف بالشرك وأقسامه.

أنواع الشرك الأصغر: وفيه فصلان:

الفصل الأول: الشرك في النيات والمقاصد:

المبحث الأول: الرياء.

المبحث الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

الفصل الثاني: الشرك في الألفاظ.

المبحث الأول: الحلف بغير الله.

* - وردت للباحث ترجمة في العدد «٢٩» ص ٣١٤ من مجلة البحوث الإسلامية.

(١) رواه أحمد في مسنده ج٤ ص ٤٠٣ وهو حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير للألباني حديث ٣٦٢٥.

المبحث الثاني: قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما.

المبحث الثالث: إسناد بعض الحوادث إلى غير الله.

المبحث الرابع: قول البعض مطرنا بنوء كذا على طريق المجاز، ثم

ختمت البحث بذكر بعض النتائج.

وأخيراً أسأله تعالى أن يتقبل صوابه، ويتجاوز عن خطئه، إنه سميع

مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تمهيد : في تعريف الشرك وأقسامه :

أولاً : تعريف الشرك :

الشرك لغة : تقول شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً وشركة بفتح الأول وكسر الثاني فيها، ويخففان بكسر الأول وسكون الثاني، وذلك : إذا صرت له شريكاً.

وأشركته : أي جعلته شريكاً، قال تعالى : ﴿ وَأشركه في أمري ﴾^(١).
أي اجعله شريكي فيه .

والشرك بالتخفيف أغلب في الاستعمال، ويكون مصدراً واسماً، جمعه أشراك بمعنى النصيب كما في الحديث : «من أعتق شركاً له في عبد»^(٢). أي حصة ونصيباً، والشراك : سير النعل على ظهر القدم، يقال : أشركت نعلي وشركتها تشريكاً : إذا جعلت لها الشراك .

والشَّرك بفتحيتين حباله الصائد الواحدة منها شركة والشركة أيضاً معظم الطريق ووسطه جمعها شَرَك^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته :

الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل : هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً، عيناً كان ذلك الشيء، أو معنى : كمشاركة الإنسان والفرس

(١) آية ٣٢ سورة طه . (٢) رواه البخاري في العتق باب ٤ برقم ٢٢٦٨، جـ ٤، ص ٢٨١، ومسلم كتاب العتق، والإيمان : ٤٧، ٤٨، ٥١ .

(٣) انظر : الصحاح للجوهري جـ ٤، ص ١٥٩٣ - ١٥٩٤، المصباح للقيومي جـ ١، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ . ولسان العرب مادة شرك جـ ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

في الحيوانية»^(١).

وعبارة الراغب الثانية في شرح الشركة أعم من الأولى ، لأن كون الشيء لاثنين يشمل ما كان لهما ملكاً كاملاً ، أو وصفاً كالبياض ، أو جزءاً ذاتياً كالحيوانية.

ومرجع مادة الشرك : إلى الخلط والضم .

فإذا كان بمعنى الحصّة من الشيء يكون لواحد وباقيه لآخر أو آخرين كما في قوله تعالى ﴿ . . . أم لهم شرك في السموات . . الآية ﴾^(٢) . فالشريك مخالط لشريكه وحصته منضمة لنصيب الآخر.

وإذا كان بمعنى الحباله فإن ما يقع فيها من الحيوان يختلط بها وينضم إلى ملك الصائد .

وإذا كان بمعنى معظم الطريق فإن أرجل السائرين تختلط آثارها هنالك وينضم بعضها إلى بعض .

وإذا كان بمعنى سير النعل فإن النعل تنضم به إلى الرجل فيخلط بينهما .

ثم إن اجتماع الشركاء في شيء لا يقتضي تساوي أنصبتهم منه فموسى عليه السلام سأل ربه إشراك أخيه في الرسالة وقد أجيب سؤاله لقوله تعالى : ﴿ قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾^(٣) .

ومعلوم أن حظ هارون من الرسالة دون حظ موسى .

(١) المفردات للراغب الاصفهاني حرف الشين مع الراء ص ٣٨٠ .

(٢) آية ٤ سورة الأحقاف . (٣) آية ٣٦ سورة طه .

ولهذا تقول : فلان شريك لفلان في دار أو بضاعة ولو لم يكن له إلا معشار العشر، هذا في الحسيات، ومثله في المعنويات تقول : الأبوان شريكان في طاعة ابنيهما لهما وإن كان حق الأم في الطاعة أقوى، وتقول : أبنائي شركاء في محبتي، وأنت تحب بعضهم أشد من بعض، هذا تقرير معنى الشرك لغة^(١).

وأما في الشرع : فالشرك : هو كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته شركاً^(٢).

ثانياً : أقسام الشرك : الشرك قسمان :

(الأول) : الشرك الأكبر : وهو أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته^(٣).

حكمه : الشرك الأكبر يخرج من الملة وصاحبه حلال الدم والمال، وفي الآخرة مغلد في النار.

قال تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية﴾^(٥).

وقال تعالى : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار

(١) انظر : رسالة في الشرك ومظاهره ص ٦١ - ٦٢ . (٢) انظر عقيدة المؤمن ص ١٠٥ .

(٣) انظر : معارج القبول ج ٢ ص ٤٨٣ وفتاوى اللجنة ج ١ ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٤) آية ٥ سورة التوبة . (٥) آية ٤٨ سورة النساء .

وما للظالمين من أنصار^(١).

ضرره : لهذا الشرك أضرار كثيرة منها :

١ - أنه يحبط العمل قال تعالى : ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾^(٢). وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾^(٣).

٢ - أن صاحبه خالد مخلد في النار لا يغفر الله له إلا بالتوبة ، قال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . . . الآية﴾^(٤)، وقال تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾^(٥)، وقال تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . . . الآية﴾^(٦).

٣ - أن هذا المشرك حلال الدم والمال ، لقوله تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم

(١) آية ٧٢ سورة المائدة . (٢) آية ٨٨ سورة الأنعام .

(٣) آية ٦٥ سورة الزمر . (٤) آية ٤٨ سورة النساء .

(٥) آية ٧٢ سورة المائدة . (٦) آية ٣٨ سورة الانفال .

... الآية ﴿١﴾. وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(٢)، وتحرم مناكحته لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا... الآية﴾^(٣).

كما تحرم ذبيحته لقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه... الآية﴾^(٤). ويستثنى أهل الكتاب، فحرائر نسائهم العفيفات^(٥). غير المحاربات^(٦)، وذبائحهم حلال لقوله تعالى: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب... الآية﴾^(٧).

كما أن المشرك لا يرث ولا يورث بل ماله لبيت المال، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

(١) آية ٥ سورة التوبة.

(٢) رواه البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة جـ ١ ص ٧٠-٧١. ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله برقم ٢٢ إلا أن مسلماً لم يذكر «إلا بحق الإسلام» وانظر: جامع الأصول حديث ٣٥ جـ ١ ص ٢٤٥.

(٣) آية ٢٢١ سورة البقرة.

(٤) آية ١٢١ سورة الأنعام.

(٥) انظر المغني لابن قدامة جـ ٩ ص ٥٤٥. وفتح القدير جـ ٢ ص ١٥.

(٦) كما أشار إلى ذلك ابن عباس عندما سئل عن هذه المسألة انظر: أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٧) آية ٥ سورة المائدة.

٤ - أن المشرك قد ارتكب أعظم جريمة وأفظع ظلم ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾^(١) .
وقال تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾^(٢) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(٣، ٤) .
الثاني : الشرك الأصغر .

أ - تعريفه : هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً^(٥) .
ب - حكمه : محرم بل وأكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام^(٦) .
ولذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنة .

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة

(١) آية ٤٨ سورة النساء . (٢) آية ١٣ سورة لقمان .

(٣) رواه البخاري في التوحيد ٤٠ ، ٤٦ - ومسلم في الإيمان ١٤١ ، ١٤٢ . وأبو داود في الطلاق

٥٠ - والترمذي في تفسير سورة الفرقان ١ - ٢ - والنسائي في الإيمان ٦ . وانظر : جامع

الأصول حديث ٧٣٨ ج ٢ ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦ . (٤) انظر : تفسير ابن كثير ج ١

ص ٥٠٨ ، العقيدة في الله ص ٢٣٨ ، فتاوى اللجنة ج ١ ص ٥١٧ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٥) فتاوى اللجنة ج ١ ص ٥١٧ وانظر : الكواشف الجليلة ص ١٨٦ .

(٦) العقيدة في صفحات ص ٤١ ، فتاوى اللجنة ج ١ ص ٥١٨ .

ربه أحدا»^(١).

وقوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾^(٢).

والآية في الأكبر إلا أن السلف كابن عباس كانوا يحتجون بها في الأصغر، لأن الكل شرك^(٣).

وقوله تعالى: ﴿والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾^(٤).

قال مجاهد: هم أهل الرياء^(٥). ومعلوم أن الرياء هو رأس الشرك الأصغر.

ومن السنة قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٦). وقوله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر. . . الحديث»^(٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قال: فقلنا بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي. . . الحديث»^(٨).

(١) آية ١١٠ سورة الكهف. (٢) آية ٢٢ سورة البقرة.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٢-٥٢٣. (٤) آية ١٠ سورة فاطر.

(٥) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر ج ١ ص ٣١.

(٦) رواه مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله برقم ٢٩٨٥، وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ج ٢ ص ٤٢٦. برقم ٤٢٥٥ وانظر: جامع الأصول حديث ٢٦٥١.

(٧) رواه الإمام أحمد ج ٥، ص ٤٢٨، ٤٢٩،

(٨) رواه أحمد في المسند ج ٣ ص ٣٠، وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ج ٢ ص ٤٢٧ برقم ٤٢٥٧ واسناده حسن، انظر مشكاة المصابيح حديث ٥٣٣٣ ج ٢ ص ٦٨٧ «الحاشية».

ج - ضرره: من أضرار الشرك الأصغر أنه يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنه ينزله منزلة من لم يعمل، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادة خالصة قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . . . الآية﴾^(١). فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به بل الذي أتى به شيء غير المأمور به فلا يصح، ولا يقبل منه. يقول تعالى - في الحديث القدسي - : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فهو للشرك أشرك به وأنا منه بريء»^{(٢)(٣)}.

كذلك من أضراره أنه وسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر.

د - الفرق بينه وبين الشرك الأكبر.

هناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر، منها:

أولاً: أن الأكبر لا يغفر الله لصاحبه، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

ثانياً: الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

ثالثاً: أن الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية، وأما الأصغر فلا يخرج منها

ولذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين. فيناكح، وتؤكل

ذبيحته ويرث ويورث ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

رابعاً: أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأما الأصغر فلا

(١) آية ٥ سورة البينة. (٢) سبق تحريجه.

(٣) انظر الجواب الكافي ص ١٥٥.

يخلد في النار إن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر^(١).

هـ: أنواع الشرك الأصغر . وفيه فصلان :

الفصل الأول : الشرك في النيات والمقاصد . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرياء .

أولاً : تعريفه .

الرياء : لغة : مصدر رأى يرأي ، تقول : رائيت الرجل مراعاةً ورياءً : أي أريته أني على خلاف ما أنا عليه^(٢).

وفي الشرع : عرف بتعاريف كثيرة^(٣) متقاربة في المعنى أولاهها : تعريف ابن حجر حيث قال : الرياء هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها^(٤).

الفرق بين الرياء والسمعة .

السمعة : لغة : مشتقة من الإسماع والمراد بها : الذكر . يقال : فعله رياءً وسمعة أي ليراه الناس ويسمعوه فيحصل على الصيت والذكر^(٥).

وفي الشرع : يراد بها نحو ما يراد بالرياء ، لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر^(٦).

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ١٨٧ ، وفتاوى اللجنة ج ١ ص ٥١٨ .

(٢) انظر: لسان العرب مادة رأي- ج ١ ، ص ١٠٩٤ . (٣) انظر: تفسير القرطبي ج ٢ ،

ص ٢١٢ ، قواعد الأحكام ج ١ ، ص ١٤٧ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٦٤ .

(٤) فتح الباري ج ١١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) أنظر: لسان العرب مادة سمع ج ٢ ص ٢٠٣- ٢٠٤ والقاموس المحيط ج ٣ ص ٤٠ .

(٦) فتح الباري ج ١١ ، ص ٣٣٦ .

ثانياً : حكمه : الرياء إما أن يدخل في أساس العمل أو في تحسينه .
 فإن دخل في أساس العمل - بمعنى أنه لا يأتي بأصل العبادة كالصلاة
 والزكاة والصوم إلا رياءً ولولا ذلك ما صلى ولا صام ولا ذكر الله - فهو
 مشرك شركاً أكبر وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿إن المنافقين
 يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون
 الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى
 هؤلاء . . . ﴿إلى أن قال : ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد
 لهم نصيراً﴾ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وخلصوا دينهم لله
 فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾^(١) .

وإن دخل في تحسين العمل - بمعنى أن العامل إنما أراد بعمله وجه الله
 تعالى لكن حسنه رياءً كأن يطيل في الصلاة ليراه الناس ، أو يرفع صوته
 بالقراءة أو الذكر ليسمعه الناس فيحمدوه - فإن الرياء في هذه الحالة
 يعتبر شركاً أصغر لا يخرج صاحبه من الملة إذ المراد بالرياء (الذي هو
 شرك أصغر) هو يسير الرياء الداخل في تحسين العمل المراد به وجه الله
 تعالى^(٢) .

لكن هذا الرياء - الذي هو شرك أصغر - هل يبطل العمل الذي قارنه
 أم لا ؟ إن قارن العبادة من بدايتها واستمر فالنصوص الصحيحة تدل

(١) آية ١٤٢-١٤٥ سورة النساء .

(٢) انظر: فتاوى اللجنة جـ ١ ص ٥١٧-٥١٨ ، فتح المجيد ص ٣٦٩-٣٧٠ ، ٢٠٠ سؤال
 وجواب حافظ حكيم ص ١٦ .

على بطلانها كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

وقوله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٢).

وإن كان الدافع للعبادة وجه الله تعالى وحده لكن طراً عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، لكن لا يحبط العمل على القول الراجح من أقوال العلماء^(٣). والله أعلم.

ثالثاً: بعض ماورد من النصوص في ذم الرياء والتحذير منه:

أ- من الكتاب:

يقول عز وجل محذراً من الشرك- ومعلوم أن الرياء من الشرك- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٤).

(١) آية ١١٠ سورة الكهف.

(٢) رواه مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله حديث ٢٩٨٥ وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ج٢ ص ٤٢٦ برقم ٤٢٥٥. وانظر: جامع الأصول حديث ٢٦٥١.

(٣) انظر فتح المجيد ص ٣٦٩- ٣٧٠، فتاوى اللجنة ج١ ص ٥١٧- ٥١٨. القول السديد لابن سعدي ص ١٢٧، إعلام الموقعين ج٢ ص ١٨٢، تيسير العزيز الحميد ص ٤٦٧- ٤٧٠.

(٤) آية ١١٠ سورة الكهف.

ويقول عز وجل محذراً عباده المؤمنين أن يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى كما يبطل المرائي عمله بالرياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ الآية﴾^(١).

ويقول عز من قائل مبيناً أن الرياء من صفات المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾^(٣).

قال مجاهد: هم أهل الرياء^(٤).

والآية - كما نرى - وعيد لهم بالعذاب الشديد.

ويقول سبحانه متوعداً الساهين عن صلاتهم المرائين فيها بويل وهو وادٍ في جهنم - أعاذنا الله منه - : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾^(٥).

ب - من السنة :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه - مرفوعاً - قال الله تعالى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته

(١) آية ٢٦٤ سورة البقرة . (٢) آية ١٤٢ سورة النساء .

(٣) آية ١٠ سورة فاطر . (٤) أنظر: الزواجر لابن حجر ج ١ ص ٣١ .

(٥) آية ٤ - ٦ سورة الماعون .

وشركه»^(١).

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال ، فقال : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قال : فقلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(٢).

٣ - وعن أسامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتتدلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان ، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية»^(٣).

٤ - وعن شداد بن أوس مرفوعاً «من صلى يرأى فقد أشرك ، ومن صام يرأى فقد أشرك ، ومن تصدق يرأى فقد أشرك ، وإن الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بي فمن أشرك بي شيئاً فإن حشده عمله

(١) رواه مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله برقم ٢٩٨٥ وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ج٢ ، ص ٤٢٦ برقم ٤٢٥٥ ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٦٥١ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج ٣ ، ص ٣٠ وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ج ٢ ، ص ٤٢٧ برقم ٤٢٥٧ . وإسناده حسن أنظر : مشكاة المصابيح حديث ٥٣٣٣ ، ج ٢ ، ص ٦٨٧ (الحاشية).

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق ١٠ ، وفي الفتن ١٧ ، ومسلم في الزهد ٥١ ، وأحمد ج ٥ ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني»^(١).

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتى به فعرفه
نعمته فعرفها ، قال : فما عملت بها ؟ قال : قاتلت فيك حتى
استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ! فقد قيل ،
ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم
وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟
قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ولكنك
تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به
فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من
أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟
قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال :
كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب
على وجهه حتى ألقي في النار»^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ج٤ ص ١٢٦ ، وأبو داود الطيالسي ص ١٥٣ ، وروى الطبراني في
الكبير الحديث إلى قوله (فقد أشرك) برقم ٧١٣٩ ج٧ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ . والحاكم في
المستدرک ، والبيهقي في شعب الإيمان عن شداد بن أوس انظر : كنز العمال حديث ٧٥٢٨ ،
ومشكاة المصابيح حديث ٥٣٣١ .

(٢) رواه مسلم برقم ١٩٠٥ في الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، والترمذي برقم
٢٣٨٣ في الزهد باب ماجاء في الرياء والسمعة ، والنسائي ج٦ / ٢٣-٢٤ في الجهاد باب
من قاتل ليقال فلان جريء ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٦٤٥ .

٦ - وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من سمع سمع الله به ومن يراني يراني الله به»^(١) . ومعناه : من أظهر للناس العمل الصالح لعظم عندهم أظهر الله سريره على رؤوس الخلائق^(٢) .

٧ - وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراف بالله ، أما إني لست أقول : يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية»^(٣) . هذه بعض النصوص من الكتاب والسنة ، التي تحذر من الرياء ، وتبين خطره على عقيدة المسلم .

رابعاً : أمثلة لبيان بعض ما يراني به المرءون :

مما يراني به المرءون في الغالب ما يلي :

أ - الرياء من جهة البدن : كأن يراني بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحزن ، أو يراني بتشعيب الشعر ليظهر أنه مستغرق في هم الدين لا يتفرغ لتسريح شعره ، أو يراني بحلق الشارب واستئصال الشعر ليظهر بذلك تتبع زي العباد

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٢٨٨ كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة . ومسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله برقم ٢٩٨٧ . وابن ماجه برقم ٤٢٦٠ .

(٢) انظر : الكفر والمكفرات ص ٢٤ .

(٣) رواه ابن ماجه في الزهد باب ٢١ برقم ٤٢٠٥ ج ٢ ص ٤٢٧ ، والإمام أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرک ، وأبو نعيم في الحلية ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في شعب الإيثار (بنحوه) انظر كنز العمال حديث (٧٤٨٩ ، ٧٥٠٥) .

والنساك، أو يرأى بخفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين
ليدلك على أنه مواظب على الصوم .

ب- الرياء من جهة الزي : كإبقاء أثر السجود على جبهته ، ولبس الغليظ
من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيراً ليقال عابد زاهد ، أو ارتداء
نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال عالم .

ج- الرياء من جهة القول : كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار
والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم ، وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس ، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس ،
وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف
والحزن ونحو ذلك .

د - الرياء بالعمل : كمراعاة المصلي بطول القيام وتطويل الركوع
والسجود وإظهار الخشوع ونحو ذلك ، وكذلك المراعاة بالصوم
والغزو والحج والصدقة ونحو ذلك .

هـ - الرياء بالأصحاب والزائرين : كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو
عابداً ليقال ، إن فلاناً قد زار فلاناً ، ودعوة الناس لزيارته كي
يقال : إن أهل الخير يترددون عليه ، وكذلك من يرأى بكثرة
الشيوخ ليقال : لقي فلان شيوخاً كثيرين واستفاد منهم فيباهي
بذلك .

هذه مجامع ما يرأى به المراءون - غالباً - يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد^(١).

خامساً : مضار الرياء :

للرياء مضار كثيرة منها ما يلي :

١ - الرياء إما أن يكون شركاً أكبر كرياء المنافقين ، أو يكون شركاً أصغر، فإن كان شركاً أكبر فإن أغلب مضار الشرك الأكبر تعتبر مضاراً له .

كعدم المغفرة له إذا مات على هذه الحالة كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) . وكونه من أهل النار كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيراً﴾^(٣) .

وإن كان شركاً أصغر فإنه يحبط العمل الذي يصاحبه لما روى أبو هريرة قال : قال ﷺ : قال تبارك وتعالى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٤) .

٢ - كذلك من مضاره أنه وسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر.

(١) انظر : مختصر منهاج القاصدين ص ٢١٥ - ٢١٧ . مقاصد المكلفين ص ٤٤٢ - ٤٤٣ . فتح

المجيد ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) آية ٤٨ سورة النساء . (٣) آية ١٤٥ سورة النساء .

(٤) سبق تخريجه .

٣ - كذلك من مضاره أنه قد يفضي بصاحبه إلى استهزاء الناس به ، كما حكى أن طاهر بن الحسين قال لعبدالله بن المروزي : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم فقال : يا أبا عبدالله : سألتك عن مسألة ، فأجبتنا عن مسألتين . وحكى الأصمعي أن أعرابياً صلى فأطال ، وإلى جانبه قوم ، فقالوا ما أحسن صلاتك ! فقال : وأنا مع ذلك صائم^(١).

سادساً : علاجه :

عرفنا أننا أن من أضرار الرياء إحباط العمل ووسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر ، وإذا كانت هذه حالته فجدير بالمسلم أن يجد في إزالته وأن يبحث عن علاج يقيه هذا المرض الخطير ، ومن وسائل علاجه ما يلي :

١ - تعظيم الله سبحانه ومراقبته في كل عمل وتقديم ذلك على تعظيم الناس ومراقبتهم وعدم المبالاة بما يترتب على ذلك من فوت الحمد أو وجود الذم ، وذلك أن من أسباب الرياء حب الحمد والخوف من الذم ، فيعظم الناس ويراقبهم في عمله ليحصل على المدح والثناء ، وإذا انتفى السبب انتفى المسبب .

(١) الكفر والمكفرات ص ٢٦-٢٧ . أدب الدنيا والدين ص ٩٥ . تفسير القرطبي ج ١١ ص ٧١ الجواب الكافي ص ١٥٥

٢ - الاستعانة بالله على الإخلاص ودعائه والتعوذ به من الرياء . قال تعالى : ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾^(١) فإليه الملجأ والمفر من كل مرض يفسد إخلاصنا ويبطل أعمالنا وهو المستعان وحده في دفع كل مكروه وفي فعل كل مأمور يقول تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾^(٢) .

كما أُرشدنا عليه الصلاة والسلام إلى طريقة للتخلص من هذا المرض وذلك بأن نتعوذ به سبحانه وتعالى ، ففي الحديث أن الرسول ﷺ قال : «أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل» : قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله ؟ قال : «قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه»^(٣) .

٣ - معرفة الرياء وأسبابه^(٤) ، ثم التحرز منه دائماً ، وذلك أن الإنسان قد يؤتى من جهله ، وقد يؤتى من قلة حذره .

٤ - معرفة عاقبة الرياء في الدنيا .

فإن مما ينفي الرياء ويكرهه أن يعلم المرائي أن رياءه لن يجلب له نفع الناس ، ولن يدفع عنه ضررهم ، بل قد يجلب له سخطهم وكراهيتهم ومقتهم له ، وذلك معاملة من الله له بنقيض قصده . يقول عمر : رضي

(١) الآية ٥٠ سورة الذاريات .

(٢) آية ٤ سورة الفاتحة .

(٣) رواه أحمد في مسنده ج٤ / ٤٠٣ والطبراني عن أبي موسى . كنز العمال حديث ٧٥٢١ ، وهو حديث صحيح انظر : صحيح الجامع الصغير للألباني حديث ٣٦٢٥ .

(٤) أسباب الرياء أرجعها الحارث المحاسبي إلى حب المحمدة وخوف المذمة - انظر : الرعاية للمحاسبي ص ١٣٩ .

الله عنه «ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله»^(١). كما يجلب له كراهية الله وسخطه ومقته وما يترتب على ذلك من التعاسة في الدنيا فيخسر الدنيا والآخرة، فإذا علم المرائي أن هذه هي عاقبة الرياء في الدنيا، وأن النفع والمنع بيد الله وحده فإنه جدير بالحدز من الرياء لانتفاء السبب الدافع إلى الرياء وهو جلب النفع أو دفع الضرر، وكذلك الخوف من هذه العاقبة للمرائي.

٥ - معرفة عاقبة الرياء في الآخرة.

كذلك مما يدفع الرياء معرفة عاقبته في الآخرة، والتي منها: رد عمله كما في حديث الثلاثة^(٢) الذين هم أول من تسعربهم النار يوم القيامة مع أنهم كانوا فعالين للخير إلا أنهم لم يريدوا به وجه الله وإنما أرادوا به العباد، وفضيحتهم، كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «من سمع سمع الله به ومن يراني يراني الله به»^(٣).

يقول ابن حجر: قال الخطابي: «معناه: من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه»^(٤). فإذا علم الإنسان أن هناك يوم حساب، وعلم شدة حاجته في ذلك اليوم إلى العمل الصالح، وعلم

(١) هذا النص جزء من رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى في القضاء، وقد شرحه ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين ج٢ ص ١٨٠.

(٢) سبق في النصوص التي تحذر من الرياء ص ١٦ - ١٧. (٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري ج١ ص ٣٣٦.

عاقبة الرياء غلب على نفسه الحذر من الرياء كي يقبل عمله وكيلا
ينفضح في ذلك اليوم .

٦ - كتمان العمل وإسراره .

كذلك ومن وسائل الوقاية من الرياء كتمان العمل وإسراره ، حتى لا
يخالطه رياء ولا يكون للشيطان مدخل يشوش على صاحبه في نيته .
وقد نص سبحانه وتعالى على أفضلية الصدقة المخفأة على صدقة
العلانية في قوله تعالى : ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنَعَّمَا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا
وَتَوْتَوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١) . وعدَّ ﷺ المسر بالصدقة - حتى لا
تعلم شماله ما تنفق - يمينه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا
ظل إلا ظله .

ويروى إنه قيل لبعضهم : ما دواء الرياء؟

قال : كتمان العمل ، قيل له : فكيف يكتُم العمل ؟ قال : ما كلفت
إظهاره من العمل فلا تدخل فيه إلا بالإخلاص ، وما لم تكلف إظهاره
أحب أن لا يطلع عليه إلا الله^(٢) .

وقد خص العلماء أفضلية الإخفاء بالنوافل دون الفرائض^(٣) .

واستثنى بعض العلماء أولئك الذين يقتدى بهم ، فهؤلاء يستحب في
حقهم الإعلان دون الإسرار بشرط أن يأمنوا على أنفسهم الرياء وقد فصل

(١) آية ٢٧١ سورة البقرة .

(٢) الكفر والمكفرات ص ٣٨ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٣ / ٣٣٢ .

القول في هذه المسألة العز^(١) ابن عبد السلام رحمه الله حيث قال : فإن قيل : هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا ؟ فالجواب :

أن الطاعات ثلاثة أضرب : أحدها : ما شرع مجهوراً كالأذان والإقامة . . . وإقامة الجمعة والجماعات والأعياد والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . فهذا لا يمكن إخفاؤه ، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص فيأتي به مخلصاً كما شرع .

الثاني : ما يكون إسراره خيراً من إعلانه كإسرار القراءة في الصلاة ، أو إسرار أذكائها ، فهذا إسراره خير من إعلانه .

الثالث : ما يخفى تارة ويظهر أخرى كالصدقات ، فإن خاف على نفسه الرياء . . . كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾^(٢) .
ومن أمن الرياء فله حالان :

إحدهما : ألا يكون ممن يقتدى به ، فإخفاؤها أفضل إذ لا يأمن الرياء عند الإظهار .

(١) هو عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ مرتبة الاجتهاد ولد سنة ٥٧٧ في دمشق ونشأ بها وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ له مؤلفات كثيرة منها : التفسير الكبير ، وقواعد الشريعة ، وقواعد الأحكام . أنظر : الأعلام ج٤ ص ٢١ ، وفوات الوفيات ج١ ص ٢٨٧ .

(٢) آية ٢٧١ سورة البقرة .

والثاني : أن يكون ممن يقتدى به ، فالإبداء أولى لما فيه من سد خلة الفقراء مع مصلحة الاقتداء ، فيكون قد نفع الفقراء بصدقته وبتسببه إلى تصدق الأغنياء عليهم ، وقد نفع الأغنياء بتسببه إلى اقتدائهم به في نفع الفقراء (١)(٢) .

سابعاً : في بيان بعض الأمور التي يظن أنها من الرياء وهي ليست منه .

إعلم رحمك الله أن هناك أموراً يعملها العبد قد يظنها البعض أنها من الرياء وهي ليست منه ، أحبت التنبيه عليها رفعا للبس .
منها مايلي :

١ - تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس إنما هو ليراه الناس ، وكذلك كل تجمل لأجلهم ، ولا يقال : إنه من الرياء أو منهى عنه ، حيث إن كثيراً من الناس لا يحبون أن يراهم أحد بعين نقص في أي حال ، ومن الناس من يؤثر إظهار نعمة الله عليه - كما أمر الرسول ﷺ بذلك في الحديث الذي رواه ابن مسعود أنه قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ج١/ ١٥٢ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، مقاصد المكلفين ص ٤٦٥ - ٤٧١ ، الإخلاص حسين عوايشة ص ٤٣ .

حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»^(١).

٢ - كذلك كتمان الذنوب وعدم إظهارها لا يعتبر من الرياء، بل هو واجب شرعي، لأن الله يكره ظهور المعاصي ويجب سترها فعن ابن عمر مرفوعاً قال: قال النبي ﷺ: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»^(٢).

٣ - كذلك نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين، كأن يبیت الرجل مع المتهجدين فيصلون أكثر الليل وعادته قيام ساعة فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولا الله ثم هم ما انبعث هذا النشاط، هذا ليس رياءً على الإطلاق بل فيه تفصيل، ولمعرفة العبد ذلك. عليه في مثل هذه الحالة أن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه فإذا رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله وليس رياءً، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياءً، وعلى هذا فقس^(٣).

(١) رواه مسلم برقم ٩١ في الإيمان باب تحريم الكبر وبيانها، وأبو داود برقم ٤٠٩١ في الأدب باب ماجاء في الكبر، والترمذي برقم ١٩٩٩ في البر والصلة باب ماجاء في الكبر، وانظر: جامع الأصول حديث ٨٢١٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤، ٣٨٣ من حديث ابن عمر. والموطأ ج ٢/ ٨٢٥ مرسلاً في الحدود باب في من اعترف على نفسه بالزنى عن زيد بن أسلم (بنحوه) وانظر جامع الأصول حديث ١٩٢٦.

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص ٢١٧-٢٢٤، العقيدة في صفحات ص ٤٤-٤٥.

٤ - كذلك إذا عمل العبد العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الشئ الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته لم يضره ذلك ولم يعد ذلك من الرياء، قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾^(١). وعن أبي ذر أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه، فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(٢).

المبحث الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

المراد به: هو أن يعمل الإنسان أعمالاً صالحة يريد بها الدنيا، إما لقصد المال أو الجاه، كالذي يجاهد أو يتعلم العلم ليأخذ مالاً، أو ليحتل منصباً، أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، أو نحو ذلك من الأعمال الصالحة لكن نيته الحصول على مصالح دنيوية لا لطلب مرضاة الله.

الفرق بينه وبين الرياء:

قد يظن البعض أن هذا المبحث داخل في الرياء وأن هذا مجرد تكرار وهو ظن خاطيء، وذلك أن المرائي إنما يعمل لأجل المدح والثناء، والمريد بعمله الدنيا يعمل لدنيا يصيبها كالمال أو المنصب^(٣).

(١) آية ٥٨ سورة يونس.

(٢) رواه مسلم في البر ١٦٦، وأحمد في مسنده ج٥/ ص ١٥٦ - ١٥٧، ص ٦٨ وابن ماجه في

الزهد باب ٢٥ ج٢/ ٤٣٠ برقم ٤٢٢٥.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٣ (بتصرف).

حكمه : العمل لأجل الدنيا لا يخلو من ثلاثة أمور:

الأول : أن تكون إرادة العبد من عمله كلها منحصرة في العمل لأجل الدنيا ولولا هذا المقصد لم يعمل ، وهذا ليس له في الآخرة نصيب ، وذلك أن العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن فإن المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان فإنه لابد أن يريد الله والدار الآخرة وإن كان يريد مع ذلك الدنيا .

الثاني : أن تكون إرادته من عمله وجه الله والدنيا ، والقصدان متساويان أو متقاربان ، وهذا شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد يحبط الأعمال التي قارنها ، وذلك لأن إخلاص العمل لوجه الله شرط من شروط صحة العبادة ، فإذا كان مراد العامل من عمله وجه الله والدنيا فقد اختل شرط الإخلاص ففسد العمل .

الثالث : أن تكون إرادة العبد من عمله وجه الله وحده وأخلص فيه إخلاصاً تاماً ، لكنه يأخذ على عمله جعلاً معلوماً يستعين به على العمل كالجعلات التي تجعل على أعمال الخير كالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق ، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية والدينية النافعة لمن يقوم بها .

فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا وإنما أراد الدين ، وقصده أن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدين ، ولهذا جعل الله تعالى في الأموال الشرعية كالزكاة وأموال الفيء وغيرها جزءاً

لمن يقوم بالوظائف الدينية والدينية النافعة^(١). والله أعلم.

الأدلة على تحريمه

نظراً لأن العمل لأجل الدنيا مناف للإخلاص ، لذا جاء التحذير منه في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة ، منها مايلي :

من الكتاب : قوله تعالى : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾^(٢) .

يخبر سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين أن من قصد بعمله الحصول على مطاعم الدنيا فقط فإن الله يوفر له ثواب عمله في الدنيا بالصحة والسرور في الأهل والمال والولد ، وهذا مقيد بالمشيئة^(٣) كما في قوله تعالى : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . . . الآية﴾^(٤) وهؤلاء ليس لهم في الآخرة إلا النار ، لأنهم لم يعملوا ما يخلصهم أما أعمالهم التي عملوها فإنها باطلة لا ثواب لها ؛ لأنهم لم يريدوا بها الآخرة .

قال قتادة : يقول تعالى : من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاءً ، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة^(٥) .

(١) انظر : القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ ابن سعدي - بهامش كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) آية ١٥ - ١٦ سورة هود . (٣) انظر مختصر شعب الإيمان ص ٩٢ (الحاشية) .

(٤) آية ١٨ سورة الإسراء .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٩ .

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن هذه الآية ، فأجاب بما ملخصه : ذكر عن السلف في معنى هذه الآية أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

النوع الأول : من ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس إبتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس وترك الظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعمة عليهم ، ولاهمة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب ، وهذا النوع ذكره ابن عباس .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه ، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ، ونيتة رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث : أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً ، مثل أن يحج لمال يأخذه ، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية ، وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رئاستهم ، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ، كما هو واقع كثيرا .

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرج عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا

عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم، وهذا النوع أيضاً قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها. قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)^(٢). والآيتان تتناولان هذه الأنواع الأربعة لأن لفظها عام، لذا يجب الحذر من أن نطلب بعمل الآخرة طمع الدنيا^(٣).

ومن السنة :

١ - ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«تعس^(٤) عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة^(٥)، تعس عبد الخميصة^(٦) إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس^(٧) وإذا شيك^(٨) فلا انتنقش^(٩)... الحديث»^(١٠).

(١) آية ٢٧ سورة المائدة. (٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٥-٤٧٦.

(٣) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٠٢-١٠٣ (٤) تعس: أي سقط والمراد هنا هلك.

(٥) الخميصة: الكساء المربع. (٦) الخميصة: هي القطيفة، وهي ثوب له خمل من أي شيء.

كان. انظر فتح الباري ج ١١ ص ٢٥٤. (٧) وانتكس: أي عاوده السقوط.

(٨) إذا شيك: أي دخلت فيه شوكة. (٩) فلا انتنقش: لم يجد من يخرجها بالمنقاش، فتح

الباري ج ١١ ص ٢٥٤-٢٥٥. (١٠) رواه البخاري في الجهاد باب ٧٠، والرقاق باب

١٠، برقم ٢٨٨٧ و ٦٤٣٥، وابن ماجه في الزهد باب ٨ ج ٢ ص ٤١٤.

والحديث كما نرى: دعاء على من جعل الدنيا قصده وهمه بالتعاسة والانتكاس، وإصابته بالعجز عن انتقاش الشوك من جسده، ولا بد أن يجد أثر هذه الدعوات كل من اتصف بهذه الصفة الذميمة فيقع فيما يضره في دنياه وآخرته كما أنها ذم له بتسميته عبد الدينار والدرهم وسماه ﷺ عبداً لهذه الأشياء، لأنها استيسرت قلبه واستعبدته، فلا هم له إلا جمعها والحصول عليها ليرضي نفسه وهواه فصار فيه شعبة من العبادة لغير الله، ولم يبق معه حقيقة العبادة لله، ولا حقيقة التوكل عليه^(١).

٢ - وقال ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٢).

٣ - ويقول عليه الصلاة والسلام: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ولا يأتيه منها إلا ما قدر له»^(٣) والحديثان الأخيران - كما نرى - وعيد لمن أراد بعمله الدنيا: الأول: بأنه لا يجد عرف الجنة يوم القيامة. والثاني: وعيد بالفقر وتشيت الأمر، أعاذنا الله من ذلك والله أعلم.

(١) العبودية لابن تيمية ص ٢٧٨ تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٨ الإرشاد ص ١٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٣٦٦٤ في العلم باب في طلب العلم لغير الله، وابن ماجه برقم ٢٥٢ في المقدمة باب الانتفاع في العلم والعمل، وأحمد ج ٢ ص ٣٣٨ وانظر: جامع الأصول حديث ٢٦٤٨.

(٣) رواه الترمذي برقم ٢٤٦٧ في صفة القيامة باب ٣١ عن أنس بن مالك بسند ضعيف انظر: جامع الأصول حديث ٨٤٧٢، وأحمد: انظر مشكاة المصابيح برقم ٥٣٢٠.

الفصل الثاني : الشرك في الألفاظ .

ومنه ماييلي : المبحث الأول : الحلف بغير الله

مثاله : كقول الرجل : وحياتي ، وحياة النبي ، والكعبة ، والسيد فلان ، ونحو ذلك .

حكمه : هو من الشرك الأصغر في الألفاظ ، إذا كان الحالف بلسانه ولم يعتقد بقلبه تعظيم من حلف به ، وكان عالماً بالحكم أما إذا كان جاهلاً فإنه يعلم ، فإن أصر فهو والعالم ابتداءً ، سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر .

ومن الشرك الأكبر : إن قام بقلبه تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله ، وكان عالماً بالحكم ، أما إذا كان جاهلاً فإنه يعلم فإن أصر فهو والعالم ابتداءً سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر^(١) .

الأدلة على تحريمه : اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الحلف بغير الله .

فمن الكتاب : قوله تعالى : ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾^(٢) . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية . «الأنداد : هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان . . . الى أن قال : هذا كله

(١) انظر الجواب الكافي ص ١٥٨ . فتاوى اللجنة (العقيدة) ج ١ ص ٢٢٤ .

(٢) آية ٢٢ سورة البقرة .

شرك»^(١).

فإن قيل الآية نزلت في الأكبر، قيل : السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر، كما فسرهما ابن عباس رضي الله عنه وغيره وذلك لأن الكل شرك»^(٢).

ومن السنة ما يلي :

١ - وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٣).

٢ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً»^(٤).

٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من كان

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسنده جيد، انظر: فتح القدير ج١ ص ٥٢ وتيسير العزيز الحميد ص ٥٢٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٣. (٣) رواه البخاري ج٣ ص ١٦٢، ج٧ ص ٢٢١، ومسلم شرح النووي ج١١ ص ١٠٥ - ١٠٦. وأبو داود ج٣/ ٥٦٩ النذور باب ٥. برقم ٣٢٤٩، والترمذي ج٣ ص ٤٥ برقم ١٥٧٣ وقال حديث حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري ج٧ ص ٢٢١. ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان ج١١ ص ١٠٤ - ١٠٥. وأبو داود ج٣/ ٥٧٠ برقم ٣٢٥٠. والترمذي برقم ١٥٧٢ ج٣/ ٤٥ وقال: حديث حسن صحيح.

حالفاً فلا يحلف إلا بالله» وكانت قريش تحلف بأبائها فقال : « لا تحلفوا بأبائكم»^(١).

٤- وعن سعيد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر فقامت وتركت رجلاً عنده من كندة ، فأتيت سعيد بن المسيب فجاء الكندي فرعاً فقال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن أعليّ جُنَاح أن أحلف بالكعبة ، قال : ولم تحلف بالكعبة ؟ إذا حلفت بالكعبة احلف برب الكعبة ، فإن عمر كان إذا حلف قال : كلا وأبي ، فحلف بها يوماً عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « لا تحلف بأبيك ولا بغير الله فإنه من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢).

٥ - وعن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم»^(٣).

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد . . . الحديث»^(٤).

(١) رواه البخاري ج٧ ص٢٢٢ ، ومسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان ج١١ ص١٠٦ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٦٩ ، ٨٦-٨٧ ، ١٢٥ ، وأبو داود برقم ٣٢٥١ ج٣ ص٥٧٠ ، والترمذي ج٣ ص٤٥-٤٦ كتاب النذور باب ٨ برقم ١٥٧٤ وقال : حديث حسن .

(٣) رواه مسلم (شرح النووي) كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله ج١١ ص١٠٨ ، والنسائي ج٧ ص٧ في الإيمان باب الحلف بالطواغيت .

(٤) رواه أبو داود برقم ٣٢٤٨ كتاب النذور باب ٥ ج٣ ص٥٦٩ ، والنسائي ج٧ ص٥ في الإيمان باب الحلف بالأمهات ، وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٨٢ .

- ٧ - وعن بريدة مرفوعاً «من حلف بالأمانة فليس منا»^(١).
- ٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من حلف منكم فقال : في حلفه باللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله»^(٢).
- ٩ - وعن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : «إنكم تشركون . . . وتقولون : والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة . . . الحديث»^(٣).
- ١٠ - وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : حلفت مرة باللات والعزى ، فقال النبي ﷺ : « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً وتعوذ ولا تعد»^(٤).
- وقال كعب^(٥) : «إنكم تشركون في قول الرجل : كلا وأبيك ، كلا والكعبة ، كلا وحياتك ، وأشبه هذا ، إحلف بالله صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره» رواه ابن أبي الدنيا في الصمت^(٦).
-
- (١) رواه الإمام أحمد ج٥ ص ٣٥٢ ، وأبو داود برقم ٣٢٥٣ ج٣ ص ٥٧١ ، وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٨٤ .
- (٢) رواه البخاري في الإيمان باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ج٧ ص ٩٧ - ٩٨ ، ٢٢٢ ، ومسلم كتاب الإيمان ج١١ ص ١٠٦ - ١٠٧ ، والترمذي ج٤ ، ص ١٠٩ - ١١٠ . وأبو داود برقم ٣٢٤٧ ج٣ ص ٥٦٨ كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالآنداد ، وابن أبي الدنيا في الصمت ص ٤٢٣ برقم ٣٦٠ بإسناد صحيح .
- (٣) أخرجه النسائي ج٧ ص ٦ في الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة ، وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٧٧ .
- (٤) أخرجه النسائي ج٧ ص ٧ - ٨ في الإيمان باب الحلف باللات والعزى وهو حديث حسن . انظر : جامع الأصول حديث ٩٣١٤ .
- (٥) هو كعب الأحبار .
- (٦) كتاب الصمت لابن أبي الدنيا برقم ٣٥٨ ص ٤٢٢ .

الإجماع : لقد أجمع العلماء على أن اليمين الشرعية لا تكون إلا بالله أو اسم من أسمائه أو بصفة من صفاته ، وأنه لا يجوز الحلف بغيره .

قال ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغير الله إجماعاً)^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة)^(٢).

وقال شيخ الإسلام - في موضع آخر: (. . . ذكر غير واحد الإجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات ، وذكروا إجماع الصحابة على ذلك . . .)^(٣).

ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين : إن النهي على سبيل كراهة التنزيه فإنه قول باطل ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (. . . والصحيح أنه نهى تحريم)^(٤) وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك . ولهذا اختار ابن مسعود رضي الله عنه أن يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بغيره صادقاً مما يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل ، فدل ذلك على أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات^(٥).

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٦ . (٢) الفتاوى ج ١ ص ٥٠٦ .

(٣) الفتاوى ج ١ ص ٢٩٠ . (٤) الفتاوى ج ١ ص ٥٣٦ .

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٦ .

اعتراض وجوابه .

اعتراض : فإن قيل : إن الله تعالى أقسم بالمخلوقات في القرآن .

الجواب : قيل : ذلك يختص بالله سبحانه وتعالى ، فإنه - سبحانه - يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لأنها آياته ومخلوقاته ، فهي دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته ، ومشيتته ، وغير ذلك من صفات كماله ، فهو سبحانه يقسم بها لأن إقسامه بها تعظيم له سبحانه وتبنيه على شرفه ، وأما نحن المخلوقين فليس لنا أن نقسم بها بالنص والإجماع كما سبق ذكره^(١) أنفاً ، بل ذلك شرك منهى عنه ، وإنا نقسم به سبحانه وتعالى وحده ، فيجب علينا التسليم والإذعان لما جاء من عنده سبحانه وتعالى .

أضف إلى ذلك أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره^(٢) .

اعتراض : وإن قيل : قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي سأله عن أمور الإسلام ، فأخبره ، فقال النبي ﷺ : «أفلح وأبيه إن صدق»^(٣) وقال للذي سأله عن أحق الناس بحسن الصحبة ؟ فقال :

(١) في الأدلة الدالة على تحريم الحلف بغير الله .

(٢) انظر : الفتاوى ج١ ص ٢٩٠ ، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي ج١١ ص ١٠٥ .

(٣) رواه مسلم عن طلحة بن عبيد الله في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ج١ ص ١٦٨ ، وأخرجه أبو داود عن طلحة بن عبيد الله برقم ٣٩٢ في الصلاة ، وبرقم ٣٢٥٢ في الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء ، وهو حديث صحيح . انظر : جامع الأصول حديث ٧ ، وحديث ٩٢٧٩ .

«نعم وأبيك لتنبأن... الحديث»^(١). الجواب: قيل: إن العلماء أجابوا عنها بأجوبة منها:

الأول: أن هذه كلمة تجري على اللسان دعامة للكلام لا يقصد بها حقيقة اليمين، كاليمين المغفو عنها من قبل اللغو، قال تعالى: ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ... الآية﴾^(٢). والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته بالله سبحانه وتعالى.

الثاني: وقيل: إن هذا - أي الحلف بغير الله - كان في أول الأمر ثم نسخ، فما جاء من الأحاديث فيه ذكر شيء من الحلف بغير الله، فإنما هو قبل النسخ ثم نسخ ذلك ونهي عن الحلف بغير الله.

وهذا الجواب هو الأظهر، يؤيده أن ذلك كان مستعملاً شائعاً حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: حلفت مرة باللات والعزى فقال النبي ﷺ: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم انفث

(١) رواه مسلم في البر باب بر الوالدين وأنها أحق به برقم ٢٥٤٨، كما أخرجه ابن ماجه بسند صحيح في كتاب الوصايا باب ٤ حديث ٢٧٣٨، انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ج٢ ص ١١٠.

(٢) آية ٢٢٥ سورة البقرة، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ج١١ ص ١٠٥، ج١٦ ص ١٠٣. (٣) سبق تخريجه.

عن يسارك ثلاثاً وتعوذ ولا تعد»^(١) وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، فما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله فهو جار على العادة قبل النهي، لأن ذلك هو الأصل حتى ورد النهي عن ذلك^(٢).

هل تنعقد اليمين بغير الله؟

الجواب: يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة، ولم يتنازعوا إلا في الحلف برسول الله ﷺ خاصة، والجمهور على أنه لا تنعقد اليمين لا به ولا بغيره، وقد قال النبي ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٣). . . . فمن حلف بشيخه أو بترته أو بحياته أو بحقه على الله . . . أو بالكعبة أو بأبيه أو تربة أو نحو ذلك كان منهياً عن ذلك، ولم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين^(٤).

المبحث الثاني: قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما.

تمهيد: ومن الشرك في الألفاظ أيضاً: قول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، ومالي إلا الله وأنت، ونحو ذلك مما فيه مساواة بين الخالق والمخلوق.

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر: صحيح مسلم (شرح النووي) ج١ ص ١٦٨، ج١١ ص ١٠٥، وسنن أبي داود ج١ ص ٢٧٣ (الحاشية)، وجامع الأصول ج١١ ص ٦٥٢. وتيسير العزيز الحميد ص ٥٢٦ و ٥٢٩.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) الفتاوى ج١١ ص ٥٠٦ وانظر: الفتاوى ج١ ص ١٤٠، ٢٠٤، ٣٣٥-٣٣٦.

حكمه : قائل ذلك : إما أن يقوم بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله أو لا ، فإن قام بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله ، وكان عالماً فهو شرك أكبر ، وإن كان جاهلاً علم ، فإن أصر فهو والعالم ابتداءً سواء ، كل منهما مشرك شركاً أكبر .

وإن لم يقم بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله فهو شرك أصغر ، فإن كان جاهلاً علم ، فإن أصر فهو والعالم ابتداءً سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر^(١) .

الأدلة على تحريمه .

الأدلة على تحريم قول ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، ونحوهما كثيرة منها ما يلي : من الكتاب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾^(٢) .

قال ابن عباس في هذه الآية : (الأنداد : هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك . . . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . . . هذا كله شرك)^(٣) . رواه ابن أبي حاتم .

والآية نزلت في الشرك الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر كما فسرهما ابن عباس وغيره لأن الكل شرك^(٤) .

(١) فتاوى اللجنة ج ١ ص ٢٢٤ . (٢) آية ٢٢ سورة البقرة .

(٣) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد ، انظر : فتح القدير ج ١ ص ٥٢ وتيسير العزيز الحميد ص ٥٢٣ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

ومن السنة :

١ - عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان »^(١).

٢ - عن قتيلة بنت صيفي قالت : (إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت »^(٢).

٣ - وعن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا إنكم تقولون عزيز ابن الله قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : هل أخبرت بها أحداً؟ قلت : نعم ، قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد : فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن

(١) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٨٠ في الأدب باب لا يقال خبث نفسي وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٤٣٥ .

(٢) أخرجه النسائي ج ٧ ص ٦ في الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول حديث ٩٢٧٧ .

أنهاكم عنها ، فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ماشاء الله وحده»^(١).

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : «قال رجل للنبي ﷺ : ماشاء الله وشئت ، قال : أجعلتني لله ندا؟ بل ماشاء الله وحده» وفي رواية : «أجعلتني لله عدلاً ؟ قل : ماشاء الله وحده»^(٢).
وقد اتفق جمهور^(٣) العلماء على النهي عن هذا القول ونحوه مما فيه تسوية بين الخالق والمخلوق .

وأما قول من قال بالجواز محتجاً بقوله تعالى : ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه . . الآية﴾^(٥).

فقول مردود ، إذ أن النبي ﷺ أنكره ، وقال لمن قال ذلك أجعلتني لله نداً ، فمن المحال أن يقال إن ذلك جائز مع إنكار الرسول ﷺ له ونهيه عنه .

(١) رواه الإمام أحمد والدارمي وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن طفيل بن سخير ، انظر: كنز العمال حديث ٨٣٧٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج١ ص ٢١٤ . والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ ص ٢١٧ ، وابن أبي الدنيا في الصمت برقم ٣٤٥ ص ١٤ بإسناد حسن ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ج١ ص ٥٧ (إسناده حسن) .

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٥٣٥ .

(٤) آية ٧٤ سورة التوبة .

(٥) آية ٣٧ سورة الأحزاب .

وأما احتجاجهم بالآيات، فقد ذكر العلماء عن ذلك أجوبة منها.

الأول : أن ذلك لله وحده لا شريك له ، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته فكذلك هذا .

الثاني : أن في قوله (ماشاء الله وشئت) تشريكاً في المشيئة بين مشيئة الله ومشيئة العبد .

وأما الآيتان : فإنما أخبر بهما عن فعلين متغايرين ، فأخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله أغناهم ، وهو من الله حقيقة ، لأنه الذي قدر ذلك ومن الرسول حقيقة باعتبار تعاطي الفعل ، وكذلك الإنعام أنعم الله على زيد بالإسلام ، والنبى ﷺ أنعم عليه بالعتق .

وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد ، فالكلام إنما هو فيه ، والمنع إنما هو منه^(١) .

كيفية اتقائه :

يمكن اتقاء هذا النوع من الشرك باستبدال الواو بـثم ، فإذا أردنا أن نقول : ما شاء الله وشئت ، نقول : ما شاء الله ثم شئت ، وإذا أردنا أن نقول : لولا الله وأنت ، نقول : لولا الله ثم أنت ونحوهما . وبذلك يمكن التخلص من هذا الشرك ، وذلك لأن الواو تقتضي تسوية المخلوق بالخالق ، ومن المعلوم أنه لا يجوز أن نجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى .

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

أما ثم فتقتضي العطف مع الترتيب والتراخي ، فمثلاً : إذا قلنا :
ماشاء الله وشئت إن عطفنا بالواو اقتضى التسوية بين مشيئة الله ومشية
المخلوق ، أما إذا عطفنا بثم فإنه يقتضي تقديم مشيئة الله وأنها فوق مشيئة
المخلوق^(١).

المبحث الثالث : إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل واعتقاد
تأثيره فيها .

ومن الشرك في اللفظ إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل
واعتماد تأثيره فيها ، كأن يقول مثلاً لولا وجود فلان لحصل كذا ولولا يقظة
الحارس لدهمنا الجيش ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، ونحو ذلك
من الألفاظ التي فيها نسبة بعض الحوادث إلى أسبابها القريبة ، على أنها
هي وحدها التي أدت إلى وقوعها .

وليس معنى ذلك نفي تأثير الأسباب في مسبباتها ، فإن ذلك جهل
بحكمة الله تعالى الذي وضعها وجعلها أسباباً ، وإنما المقصود الاعتقاد أن
تأثيرها إنما هو بمشيئة الله وحكمته لا أنها مستقلة بالتأثير^(٢).

الدليل على تحريمه :

١ - يقول سبحانه وتعالى : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾^(٣).

يقول ابن عباس في الآية - الأنداد : هو الشرك أخفى من ديب

(١) دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص ٦٥ تيسير العزيز الحميد ص ٥٣٦ .

(٢) انظر : دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) آية ٢٢ سورة البقرة .

النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : . . . لولا
كلبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص . . . إلى
أن قال : هذا كله شرك^(١).

و الآية نزلت في الأكبر إلا أنها حجة في الشرك الأصغر - كما فسرهما ابن
عباس - لأن الكل شرك^(٢).

٢ - روى ابن أبي الدنيا - في كتابه الصمت - عن ابن عباس أنه قال :
(إن أحدكم ليشرك حتى يشرك في كلبه يقول : لولاه لسرقنا
الليلة)^(٣).

كيفية اتقائه :

للتخلص من هذا الشرك يجب أن نسند الحوادث إلى الله ثم إلى
المخلوق ، فمثلاً إذا أردنا أن نقول : لولا وجود فلان لحصل كذا . نقول :
لولا الله ثم وجود فلان لحصل كذا ، مع الاعتقاد بأن الأسباب ليست
مستقلة بذاتها في التأثير ، وإنما يكون تأثيرها بقدره الله ومشيئته .

المبحث الرابع : قول البعض مطرنا بنوء كذا وكذا على طريق المجاز .
كذلك من الشرك الأصغر في اللفظ قول البعض : مطرنا بنوء كذا وكذا
على طريق المجاز ، وبيان ذلك : أن يقولها البعض مع عدم اعتقاده بأن

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسناد جيد ، انظر : فتح القدير ج١ ص ٥٢ ، وتيسير
العزيز الحميد ص ٥٢٣ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت برقم ٣٥٩ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

للنجم تأثيراً في إنزال المطر، وإنما المؤثر هو الله وحده، ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، فقلوله هذا يعتبر شركاً أصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل منه ورحمة، يجبسه إذا شاء وينزله إذا شاء^(١).

والدليل على ذلك: ما روي عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(٢).

(١) انظر: فتح المجيد ص ٣٢٤.

(٢) رواه البخاري ج ٢ ص ٢٧٧ في صفة الصلاة باب يستقبل الامام الناس إذا سلم، ومسلم برقم ٧١ في الإيمان باب بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء، والموطأ ج ١ / ١٩٢ الاستسقاء باب الاستمطار بالنجوم، وأبو داود برقم ٣٩٠٦ في الطب باب في النجوم، والنسائي ج ٣ / ١٦٥ في الاستسقاء باب كراهية الاستمطار بالكواكب، وانظر: جامع الأصول حديث . ٩١٩٨

الخلاصة

بسم الله بدأنا ، وبحمده والشكر له ختمنا ، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ، وبعد :

فإلى القارئ الكريم بعض النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع ، إنه من دراستي للشرك وأقسامه وبعض أنواع الشرك الأصغر توصلت إلى نتائج منها :

الاولى : أن الشرك قسمان : أكبر : مبيح للدم والمال ومحبط لجميع الأعمال ، وفي الآخرة صاحبه مخلد في النار .
وأصغر : محبط للعمل الذي يقارنه ، ووسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر .

الثانية : أن الشرك الأصغر أنواع كثيرة منها : الرياء ، وإرادة الانسان بعمله الدنيا ، والحلف بغير الله ، وقول ماشاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ونحوها ، وإسناد الحوادث إلى أسبابها القريبة مع اعتقاد تأثيرها فيها ، وقول البعض مطرنا بنوء كذا على طريق المجاز .

الثالثة : أن الرياء منه ما هو كفر كرياء المنافقين ، ومنه ما هو شرك أصغر كيسير الرياء الداخل في تحسين العمل .

الرابعة : أن الرياء داء له علاج ، ومن وسائل علاجه : تعظيم الله ومراقبته في كل عمل ، والاستعانة به على الإخلاص ودعاؤه

والتعوذ به من الرياء ، ومعرفة الرياء وأسبابه ، ثم التحرز منه دائماً ،
ومعرفة عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة ، كذلك كتمان العمل وإسراره .

الخامسة : أن العمل لأجل الدنيا : لا يخلو من ثلاثة أمور :
الأول : أن تكون إرادة العبد من عمله كلها منحصرة في العمل لأجل
الدنيا ولولا هذا المقصد لم يعمل ، وهذا ليس له في الآخرة
نصيب .

الثاني : أن تكون إرادته من عمله وجه الله والدنيا ، والقصدان
متساويان ، أو متقاربان ، وهذا شرك أصغر .

الثالث : أن تكون إرادته من عمله وجه الله وحده لكنه يأخذ على عمله
جعلاً معلوماً ، يستعين به على العمل وهذا لا بأس به .

السادسة : أن الحالف بغير الله ، إما أن يقوم بقلبه تعظيم لمن حلف به
مثل تعظيم الله فيعتبر شركاً أكبر ، فإن كان جاهلاً علماً فإن
أصر فهو والعالم سواء ، كل منهما مشرك شركاً أكبر ، أولاً
يقوم بقلبه تعظيم لمن حلف به فيعتبر شركاً أصغر ، فإن كان
جاهلاً علماً ، فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك
شركاً أصغر .

السابعة : اتفاق الكتاب والسنة والإجماع على تحريم الحلف بغير
الله ، واتفاق علماء المسلمين على أن اليمين لا تنعقد بما
سوى الله .

الثامنة : أن قائل ما شاء الله وشئت إما أن يقوم بقلبه تعظيم لذلك

المسوى بينه وبين الله ، فيعتبر شركاً أكبر، أولاً يقوم بقلبه تعظيم ، فيعتبر شركاً أصغر، ويمكن اتقاؤه باستبدال الواو بثم، لأنها تقتضي الترتيب مع التراخي .

التاسعة: أن إسناد الحوادث إلى غير الله عز وجل مع اعتقاد تأثيره فيها، كقولنا لولا وجود فلان لحصل كذا يعتبر شركاً أصغر، يمكن اتقاؤه بإسناد الحوادث إلى الله ثم إلى المخلوق، فمثلاً إذا أردنا أن نقول لولا وجود فلان، نقول لولا الله ثم وجود فلان .

العاشرة: أن قول القائل مطرنا بنوء كذا، وإن لم يعتقد بأن للنجم تأثيراً في إنزال المطر يعتبر شركاً أصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لانزال المطر، إذ الواجب على الإنسان في مثل هذه الحالة أن يقول مطرنا بفضل الله ورحمته، امتثالاً لأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام، واتقاءً لهذا الشرك .

هذا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .